

المنظور القرآني للحكمة من البلاء والوباء وواجب المسلم تجاههما

The Quranic Perspective on the Wisdom of the Affliction and the Pestilence and the Muslim's Duty Towards them

Bela ve Veba Hikmetine Kur'an-i Bakış ve Müslümanların Her İkisine Karşı Görevi

Reference: Eid, İ.M. (2020). "المنظور القرآني للحكمة من البلاء والوباء وواجب المسلم تجاههما", International Social Mentality and Researcher Thinkers Journal, (Issn:2630-631X) 6(39): 2605-2615.

Öğr.Gör. İsraa Mahmood EİD

Mardin Artuklu Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, Mardin/Türkiye

ORCID ID: 0000-0002-9102-6665

المخلص

هذا البحث لتجلية الحقيقة وذلك بإثبات أن للابتلاءات الكثير من الحكمة الثابتة المستخلصة من كتاب الله تعالى: كت تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، وتعلم الصبر، وتمييز المؤمن من المنافق، وكشف معادن الناس، وتكفير السيئات ورفع الدرجات، وهي تُشعر العبد بالضعف والافتقار إلى الله تعالى، وقد استقرأت ذلك من خلال الآيات الكريمة التي تتحدث عن الابتلاءات التي تلحق بالإنسان، ومن ثمَّ بيَّنت واجب الإنسان تجاه البلاء المتمثل في: التوبة إلى الله من كل ذنب، والرضا والتسليم بقضاء الله، وكثرة الاستغفار، والتضرع إليه سبحانه، وعدم القنوط من لطفه ورحمته، واستشعار ما أعد الله له من قناطر الأجر جزاءً لصبره واحتسابه، ومن أبرز نتائج التي توصلت إليها: أن للمصائب حكماً عظيمة ومقاصد سامية كثيرة، وتعقبها العديد من المحامد ومحاسن الخواتيم، وأن على المُبتلى أن يُلج على الله بالدعاء الوارد عن أنبياء الله تعالى وما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من دعوات الكروب، ويختار وقت استجابة الدعاء، فيدعو ربه موقفاً بالإجابة.

الكلمات المفتاحية: الحكمة، البلاء، الوباء، القرآن الكريم، المسلم.

ABSTRACT

People face a lot of disasters and trouble during their life, and this is the normal life. Some people believe that these disasters are only a punishment, so this research came to reveal the truth by proving that these disasters and trouble has a lot of proved wisdom excluded from the Holy Quran like: Achieving exclusive servitude to Allah, patience learning, distinguishing the believer from the hypocrite, and revealing the essence of people. Also, this makes the servants feel their weakness and their need to Allah and I and I deduced this from the Ayahs talking about disasters that inflict the human. Then I showed the duty of the human towards the trial represented in repenting to Allah from all sins, praying to Allah, and not despairing of Allah's kindness, and knowing what Allah will reward him for his patience. Among the results of this research is that disasters have great wisdom, and are followed by many presents, therefore, the afflicted person should insist on Allah with the supplication from his prophets, and what was mentioned in the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet about adversity supplications, and choose times of response to supplication, so the Muslim should ask Allah with the certainty of being answered.

Key words: wisdom, disaster, patience, the Holy Quran, Muslim.

ÖZET

İnsan, hayatı boyunca birçok zorluk ve imtihandan geçiyor. Bu Allah'ın bütün yarattıkları ile ilgili kanunudur. Bazı insanlar musibetlerin sadece ceza ve gazap olduğuna inanır. Bu araştırmanın amacı Allah'ın kitabı ışığında insanın sahil inancı ve Allah'a gerçek kul olma, Allah'ın takdirine rıza ve teslimiyet gösterme, sabretmeyi öğrenme, iman edenlerle münafıkları birbirlerinden ayırma ve insanların gerçek yüzünü ortaya çıkarma gibi birçok hikmeti olduğunu ortaya koymaktır. Ayrıca kulun zayıflığını ve Allah'a muhtaç olduğunu hissetmesini sağlar. Bu konuyu Kur'an'da imtihan ayetlerinde okudum ve insanın belalar karşısında yapması gerekenleri açıkladım: her günahın Allah'a tövbe etmesi, bağışlanma dilemesi, O'na yakarması, O'nun lütfundan ümit kesmemesi ve sabretmesi durumunda Allah'ın vereceği karşılığın farkında olması... Bu çalışma sonucunda ulaşılan en önemli sonuçlar şunlardır; musibetlerin birçok hikmeti ve maksadı vardır. Onları insanlar arasında ülfet ve muhabbetin yayılması gibi birçok güzellik takip eder ve insanların kendi aralarında İslam kardeşliğini hissetmelerini sağlar. Başına bir bela gelen kişinin Kur'an'da ve sünnette geçen peygamberlerin hakkındaki belalara karşı ettiği dualar ve Allah'ın kabul edeceği zamanlarda sürekli dua etmesi gerekir. Kişinin dua ederken kesinlikle karşılık verileceğinden emin olması gerekir.

Anahtar Kelimeler: hikmet, bela, veba, Kur'an'ı Kerim, müslüman.

المقدمة

تعيش الأمة الإسلامية في الزمن الحاضر أحداثاً عصبية، ويمرُّ أبناءها بالعديد من الويلات والأهات، إضافة إلى الأوبئة والأمراض؛ فكان لا بد من تبصير الناس بالحكمة الإلهية من البلاء، فهو سنة الله في الكون، خاصة ونحن نمر في هذا الزمن ببلاء عمَّ البلاد والعباد وهو مرض كورونا، والقرآن الكريم هو منبع الحكمة ومصدرها الأول، وفيه بيان لمنهج المسلم في مواجهة تلك الابتلاءات؛ حتى يخرج من كل أزماته، وتسكن نفسه وتطمئن جوارحه، فيستعيد همته ويشد عزيمته، ويعيش أمناً مستقراً.

مشكلة البحث:

يصاب كثير من الناس عند البلاء أو الوباء بالهلع والخوف، والجزع والتسخط، فكان لا بد من الرجوع إلى هدي الله سبحانه وتعالى في مواجهة تلك الابتلاءات، والتعرف على واجب المسلم تجاهها، لذا جاء هذا البحث ليجيب على الأسئلة الآتية:

1- هل للوباء والبلاء حكم إلهية؟

2- هل ذكر القرآن الكريم صوراً للبلاء والوباء؟

3- ما هدي الأنبياء تجاه البلاء والوباء؟

4- ما واجب المسلم تجاه الوباء والبلاء؟

5- كيف ينقلب الوباء إلى منحة إلهية على العبد المسلم؟

منهج البحث:

وقد اتبعنا في بحثي هذا المناهج التالية:

1- المنهج الاستقرائي: حيث تتبعنا الآيات القرآنية التي تصلح كشواهد ونماذج لمفردات البحث للوصول إلى أنسب ما يمكن أن يكون محلاً للاستدلال، كما استخدمته في استقراء التفسير المختلفة للوصول إلى الاستدلال المناسب بالدقة المطلوبة.

2- المنهج التطبيقي: اتبعناه في تناول ذكر النماذج التطبيقية من القرآن الكريم لأصحاب المحن، وذكر النماذج التطبيقية من قصص الأنبياء، وما يجب على المؤمن فعله تجاه تلك المحن.

3- المنهج الوصفي: اتبعناه في وصف الحكم الربانية من الابتلاءات، وكذلك وصف منهج المسلم في مواجهة تلك الابتلاءات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري عن دراسة مُشابهة لهذه الدراسة لم أجد دراسة تتوافق مع حدود ومنهجية هذه الدراسة، إلا ما كان من مقالات منشورة على الشبكة العنكبوتية تتكلم بشكل عام عن المحن وهي مختصرة، ومنها مقالة بعنوان (بُشريات وآيات أمام المحن والابتلاءات) لحميس النقيب منشورة على شبكة الألوكة، و(ما بين المحن والمنح آيات) بقلم: ربحانة الثورة على موقع طريق الإسلام.

هيكل البحث:

وقد قسمت البحث بعد هذه المقدمة إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالحكمة والبلاء والوباء

المبحث الثاني: حكمة البلاء من آي القرآن الكريم

المبحث الرابع: واجب المؤمن تجاه البلاء

ثم خاتمة عرضت فيها أبرز ما توصلت إليه خلال البحث من نتائج.

المبحث الأول: التعريف بالحكمة والبلاء والوباء

أولاً: التعريف بالحكمة

الحِكْمَةُ لغَةً: "الحِكْمَةُ: مَرْجِعُهَا إِلَى الْعَدْلِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ. وَيُقَالُ: أَحْكَمْتُهُ التَّجَارِبُ إِذَا كَانَ حَكِيمًا"⁽¹⁾، "وَالْحِكْمَةُ: عِبَارَةٌ عَنْ مَعْرِفَةِ أَفْضَلِ الْأَشْيَاءِ بِأَفْضَلِ الْعُلُومِ"⁽²⁾.

الحكمة اصطلاحاً: الحكمة عند الراغب الأصفهاني (502هـ): "إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات"⁽³⁾.

والحكمة عند الجرجاني (816هـ): "الحكمة الإلهية: علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات الخارجية المجردة عن المادة التي لا بقدرتنا واختيارنا، وقيل: هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاه، ولذا انقسمت إلى العلمية والعملية"⁽⁴⁾.

إذن فالحكمة: هي العلم بحقائق الأشياء وكنهها الحقيقي، والغاية من إيجادها وفق مُراد الله تعالى.

ثانياً: التعريف بالبلاء

البلاء لغَةً: "البلاء: الإختبار، يَكُونُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، قَالَ الْقَتَيْبِيُّ: وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ فَعْلِيهِمَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً"⁽⁵⁾.

البلاء اصطلاحاً: قال القرطبي: "البلاء يكون حسناً ويكون سيئاً وأصله المحنة والله عز وجل يبلي عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره ويبليوه بالبلى التي يكرها ليمتحن صبره فقيل للحسن بلاء وللسيئ بلاء حكاه الهروي"⁽⁶⁾. والبلاء عند الكفوي:

"أصله الاختبار {وفي ذلك بلاء} : أي محنة إن أشير إلى صنيعهم، أو نعمة إن أشير إلى الإنجاء"⁽⁷⁾.

(الخليل، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (مصر: مكتبة الهلال)، ج3، ص66، باب الحاء والكاف والميم معهما.

(ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3 (بيروت: دار صادر)، 1414هـ، ج12، ص140، فصل الحاء المهملة.

(الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1 (دمشق وبيروت: دار القلم، دار الشامية)، 1412هـ، ص249.

(الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية)، 1403هـ-1983م، ص91، باب الحاء.

(ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص84.

الوباء لغة: "الطاعون، وهو أيضاً كلّ مَرَضٍ عامٍّ، تقول: أصاب أهل الكورة العام وباء شديد.. وأرضٌ وبئة: إذا كثر مَرَضُها، وقد استوبأتها.. وقد وَبُوتَ [تَوَبُّوتُ] وباءةً، إذا كَثُرَتِ أمراضُها"⁽⁸⁾.

الوباء اصطلاحًا: "الطاعون أو كلُّ مرض عام، أرضٌ وبئية وبئية وموبوءة إذا كثر مرضها"⁽⁹⁾.

وهو أيضًا: "المرض الذي تفشى وعم الكثير من الناس، كالجدري والكوليرا وغيرهما"⁽¹⁰⁾.

المبحث الثاني: الحكم الإلهية من البلاء:

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم العديد من المحن التي تمرُّ بالإنسان مثل محنة المرض والفقر والجوع ونقص الأموال والثمرات قال تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالنَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ" [البقرة: 155]، وتنبأين مواقف الناس أمام المصائب، ولنا في بلاء كورونا شاهدًا عظيمًا على اختلاف سلوك المسلمين، فالؤمن يصبر ولا يجزع يحتسب أجره عند الله خالقه مهما عظمت مُصِيبته، وقد جاء في الكثير من الآيات القرآنية ذكر أوصاف المؤمنين أنهم صابرون شاكرون لله تعالى، يرفعون شعار الجِدِّ والصبر عند المصائب، قال تعالى: "وَالصَّابِرِينَ فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" [البقرة: 177]، حيثُ خصَّ الله تعالى عباده الصابرين بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة في الدنيا والآخرة، وبعض الناس يسخط ويتأفف بما أصابه ويقنط من رحمة ربه وحكمته، وقد جعل الله تعالى للابتلاء والمحن حكمًا عديدة يمكن استنباطها من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، ومن أبرزها:

1- تحقيق العبودية الحقّة، والامتثال والانقياد لله سبحانه:

إن المقصد الأساسي لخلق البشرية هو عبادة الله سبحانه وتقدسيه، قال تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"، والعبادة الحقّة تكون في العسر واليسر، والثبّة والرّخاء، وفي كل ظروف الإنسان، تكون قولًا وعملاً واعتقادًا بأنه عبدٌ مطيعٌ مُتَسَلِّمٌ لربه، مُدْعِنٌ له راضٍ بقضائه، لا كمن يعبد هواه فإذا ابتلي انقلب على وجهه فخر الدنيا والآخرة وباء بالخسران المبين. قال تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ" [الحج: 11]، وهذه عقيدة المؤمن الراسخة فالله تعالى هو الإله الحق والرّب المتعال لا يسأل عما يفعل قال تعالى: "لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ" [الأنبياء: 23]، وبيّن الطبري طريق العبودية الحقّة فيقول: "لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من حكمه فيهم؛ لأنهم خلقه وعبده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له: لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟" (11)، ففي البلاء والوباء تتحقق عبودية المسلم التامة لربه والتسليم بحكمه.

2- التمحيص وتمييز المؤمن الصادق من المنافق والكافر

البلاء والوباء كالمصفاة يرشح منها المؤمن بسهولة ويسر، ويبقى المنافق والكافر عالقا بارزًا، قال تعالى: "وَلِيُمَيِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ"، ذكر الله تعالى هذه الآية بعد ذكره أن البلاء تُصاب به جميع الأمم؛ فبيّن أن في هذا البلاء تنقية وتمحيص وتمييز للمؤمن عن غيره.

قال القاسمي: "أي لينقيهم ويخلصهم من الذنوب، ومن آفات النفوس، وأيضًا فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين، فتميزوا منهم ... ثم ذكر حكمة أخرى وهي (ويمحق الكافرين) أي يهلكهم، فإنهم إذا ظفروا بَعُوتُوا وبطروا، فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم"⁽¹²⁾.

كما ظهر ذلك جليًا في حادثة الإفك التي وردت في سورة النور، وما فيها من محنة أصابت الرسول خاصة والمؤمنين عامة؛ حيث رماه المنافقون في عِزِّه، وقنر الوحي ولم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم شهرًا؛ فضافت النفوس بهذا الإفك العظيم؛ فأنزل الحق سبحانه: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [النور: 11]، فمحصّت هذه المحنة عن تمحيص المسلمين ومعرفة المؤمن من المنافق، وتمييز المعدن النقي النقي الحق، وعزف الزمخشري: معنى كونه خيرًا لهم: "أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنه كان بلاء مبينًا ومحنة ظاهرة"⁽¹³⁾.

(القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2 (القاهرة: دار الكتب المصرية)، 1384هـ - 1964م، ج1، ص 387.

(الكوفي، أيوب بن موسى الحسيني القزويني أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص 250.

(الخليل، العين، ج8، ص 418.

(البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية)، 1424هـ - 2003م، ص 235.

(قلعي وقنبي، محمد روايس قلعي - حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، ط2، (دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع)، 1408هـ - 1988م، ص 498.

(الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل أي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، ط1 (بيروت: مؤسسة الرسالة)، 1420هـ - 2000م، ج 18، ص 11.425.

(القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية)، 1418هـ، ج2، ص 419.

(الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3 (بيروت: دار الكتاب العربي)، 1407هـ، ج 3، ص 217، 218.

ولقد قرّر الله تعالى في كتابه العزيز حكمة الاختبار في مواضع عديدة، فقال تعالى: "مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ" [آل عمران: 179] قال ابن كثير: "لا بد أن يعقد سبباً من المحنة، يظهر فيه وليه، ويفتضح فيه عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر" (14).

ويصدق ذلك قول الحسن البصري: "الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، و صار المنافق إلى نفاقه" (15).

وهذا من عظيم فضل الله ومثله؛ ألا يتساوى المؤمن والكافر، والصادق والمنافق، فالله تعالى اسمه العدل، وحاشاه أن يظلم مثقال ذرة من خردل، فيرسل جنده ومنهم المحن للتمحيص والتمييز بين عباده، فيسلعة الله غالية ولا يدخلها إلا من يفوز بهذا الاختبار.

3- البلايا تعلم الإنسان الصبر

البلايا هي سبيل للارتقاء في معارج الصبر قال تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ" [محمد: 31]، وللصبر معنى سام نبيل وهو "حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش" (16).

وقد تكرر الصبر في القرآن الكريم كثيراً وهذا دليل على ثقله وعظيم قدره عند الله عز وجل، "قال ابن جزي: وَرَدَ ذِكْرُ الصَّبْرِ فِي الْقُرْآنِ فِي أَكْثَرِ مِنْ سَبْعِينَ مَوْضِعًا وَذَلِكَ لِعَظَمِ مَوْقِعِهِ فِي الدِّينِ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: كُلُّ الْحَسَنَاتِ لَهَا أَجْرٌ مَعْلُومٌ إِلَّا الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ لَا يَحْصُرُ أَجْرَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (17).

وبشر الله سبحانه الصابرين بالثواب العظيم فقال سبحانه: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ" [البقرة: 155، 156، 157].

قال الزمخشري: "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ وَلِنُصِيبَنَّكُمْ بِذَلِكَ إِصَابَةٌ تَشْبَهُ فِعْلَ الْمُخْتَبَرِ لِأَحْوَالِكُمْ، هَلْ تَصْبِرُونَ وَتَثْبِتُونَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَتَسْلَمُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ أَمْ لَا؟ بِشَيْءٍ بَقِيلٍ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْبَلَايَا وَطَرَفٍ مِنْهَا، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الْمُسْتَرْجِعِينَ عِنْدَ الْبَلَاءِ لِأَنَّ الْإِسْتِرْجَاعَ تَسْلِيمٌ وَإِذْعَانٌ. وَعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ جَبَرَ اللَّهُ مَصِيبَتَهُ وَأَحْسَنَ عِقَابَهُ وَجَعَلَ لَهُ خَلْفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ" (18)، و"إنما قلل في قوله: (بشيء) ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جَلَّ ففوقه ما يقل إليه، وليخفف عليهم ويربهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزالهم وإنما وعدهم ذلك قبل كونه لِيُؤْطِنُوا عَلَيْهِ نَفْسَهُمْ" (19).

فتسكن نفوسهم إلى وعد الله، وتطيب خواطرهم بما أعده لهم؛ فتجلد على البلاء، وتثبت على الصبر، وتجتهد في ارتقاء معراجهم، فمرارة الدنيا هي حلوة الآخرة، وسُم الدنيا هو شهد الآخرة ولا يمكن الوصول إليه إلا بالصبر والتأسي؛ الذي أخفى الله جزاءه لتتوق إليه النفوس.

4- البلاء من أجل معرفة درجات العباد وحسن أعمالهم

خلق الله تعالى الدنيا بداية، وأوجد فيها الحياة، وخلق الموت في نهايتها لابتلاء العباد لمعرفة تفاضلهم في الأعمال الصالحة، قال تعالى: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ" [الملك: 2]، قال الطبري: "ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع" (20).

وقال مكي: "خلق الموت ليميت الأحياء، وخلق الحياة ليحيي الموتى. وفعل ذلك ليختبركم في حياتكم وطول إقامتكم في الدنيا، أيكم أحسن عملاً فيجازيه على ذلك في الآخرة. وقد علم تعالى كل ما هم عاملون، وعلم الطائع والعاصي قبل خلقهم، لكن المجازاة إنما تقع بعد ظهور الأعمال" (21).

5- البلاء والوباء يُشعران بضعف العبد والافتقار إلى الله والتوكل عليه

البلاء والوباء درسان عمليان يُطلعان العبد على حقيقته، ليعلم أنه ضعيف لا حول ولا قوة له إلا بربه وخالقه، فلا ينظر إلى مظاهر المحن وصورها، ولكن نظره مُنصب إلى مُقدر الأقدار ومُدبرها، فيرى يد الله في كل تدبير، ويحس يد الله في كل حدث وتقدير؛ فيتوكل عليه حق التوكل، ويندلل ويتقرب إلى مولاه، ويلجأ إليه حق اللجوء، ويعلم بحق ضعفه وقلة حيلته، ويزول الغرور والعجب والخبلاء، فيقبل مُوحداً إلى خالقه القوي العزيز، وهذا دأب الأنبياء والصالحين، كانوا يُقرون دائماً بالضعف وقلة الحيلة إمام قدرة الله وقوته، قال تعالى: "أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ" [النمل: 62].

(ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد، 2ط (الرياض: دار طيبة)، 1420هـ - 1999م، ج2، ص 14.173)

(الجاحظ، عمر بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: موفق شهاب الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج3، ص 87-88.15)

(الأنصاري، زكريا بن محمد، الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرة، تحقيق: هشام بن محمد حيجر الحسني، (بيروت: دار الكتب العلمية)، نقلاً من كتاب تهذيب مدارك السالكين، ص 353.16)

(المصدر السابق، ج1، ص 187.17)

(رواه الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية)، ج12، ص 255، الحديث: (13027).18)

(الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 19.207)

(الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن، ج23، ص 505.20)

(القيسي، مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمال من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، 21 ط1 (الشارقة: جامعة الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية)، 1429 هـ - 2008 م، ج12، ص 7590.)

وأُتِمَّ بنبي الله أيوب عليه السلام الذي ضرب أروع مثل في الصبر على البلاء، مكث في البلاء سنيناً لا يشكو ولم ييأس من رحمة ربه، ثم دعا ربه قائلاً: "أَيُّ مَسْنِي الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" [ص: 83]، وَبَيَّنَّ القُشَيْرِيُّ لطائف هذا الدعاء فيقول: "ويقال لما لم يكن قوله: مسنى الضر على وجه الاعتراض على التقدير- بل كان على وجه إظهار العجز- فلم يكن ذلك منافي للصفة الصبر. ويقال استخرج منه هذا القول ليكون فيه متنفس للضعفاء في هذه الأمة حتى إذا ضجوا في حال البلاء لم يكن ذلك منافي للصفة الصبر. ويقال لم يكن هذا القول منه على جهة الشكوى، وإنما كان من حيث الشكر «أَيُّ مَسْنِي الضَّرُّ» الذي تخصص به أولياءك، ولولا أنك أرحم الراحمين لما خصصتني بهذا، ولكن برحمتك أهلتني لهذا"⁽²²⁾.

وخير مثال على التوكل نبي الله موسى عليه السلام الذي خرج بنبي إسرائيل ومن خلفه فرعون بجنوده حتى إذا وصل البحر ولم يبق أمامه حيلة ولا وسيلة، وقال أصحابه من بني إسرائيل: إنا لمُدركون وهالكون لا محالة، فظهر الإيمان الحق والتوكل الصحيح فقال عليه السلام: كلا إن معي ربي سيهدين، وسيرشدني إلى الطريق المستقيم، فجاءت المعجزة وشق الله لهم البحر؛ فنجا موسى والمؤمنون معه وهلك فرعون وجنده، قال الله تعالى: "فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَرْزَلْنَا تَمَّ الْأَخْرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ" [الشعراء: 61-66].

6- البلاء والوباء يُخرجان العُجب والكِبَر من النفوس.

عندما ينزل البلاء والوباء بالإنسان يتعلق بأسباب الدنيا الواحد بعد الآخر، فمنهم من يتعلق بحسبه أو نسبه أو ماله أو سلطانه أو علمه أو جاهه، مثل ما فعل ابن سيدنا نوح -عليه السلام- عندما ناداه والده نداء الأب الحنون ليركب معهم فينجو من الغرق؛ فاعتمد على قوته وقال: "سَأُوي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَضِينَ" [هود: 43]، وهذا جزاء المُعاندِين المستكبرين، حتى إذا استنفذ الإنسان السبل لم يبق أمامه إلا باب الإنابة والتوبة إلى الله عز وجل، فيترك الأسباب ويرجع إلى رب الأسباب موقناً أنه لا حول ولا قوة له، وهذا ما حدث في معركة خنين عندما اغتر بعض المسلمون بعددهم، وظنوا أنهم لن يُغلبوا من قلة، ووكل الناس إلى قولهم، فضافت عليهم الأرض برحبها، وعلما أن الغلبة ليست بالكثره ولكن بنصر الله، فقال تعالى: "أَفَدَّ نَصْرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ خُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ" [التوبة: 25، 26].

قال ابن القيم: "واقترضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعُددهم وقوة شوكتهم؛ ليضع رؤوساً رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعاً رأسه منحنيًا على فرسه حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعاً لربه وخضوعاً لعظمته واستكانة لعزته"⁽²³⁾.

7- البلاء والوباء يُنبهان الإنسان للإنابة والتوبة والرجوع عن الذنوب

إنَّ الأصل في الابتلاء أن يَنْهَم ويلوم المسلم فيه نفسه، ويفتس في خبايا أمره، ويتدكَّر ذنوبه وخطاياها حتى يرجع ويتوب؛ قال تعالى: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمَنْ نَفْسِكُمْ" [النساء: 79]، وقال سبحانه: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ" [الشورى: 30]؛ فيبتلي الله تعالى أحياناً الإنسان لينبهه على ما يرتكبه من معاصي، قال تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" [الروم: 41].

ولنا في يونس عليه السلام أسوة حسنة عندما خرج من قومه من غير إذن من الله له؛ فألقى في البحر وابتلعه الحوت فمكث في الظلمات يدعو مُعترفاً بذنبه: "أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" [الأنبياء: 87]، فالله تعالى يُهَيِّأ لعباده أسباب التوبة والإنابة قبل فوات الأوان ومجيء ملك الموت ليقبض أرواحهم، فلا تقبل توبتهم حينئذ، وقبل أن يصيبهم العذاب الأكبر يوم القيامة، قال تعالى: "وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" [السجدة: 21]، قال الرازي: "يعني قبل عذاب الآخرة نذيقهم عذاب الدنيا فإن عذاب الدنيا لا نسبة له إلى عذاب الآخرة لأن عذاب الدنيا لا يكون شديداً، ولا يكون مديداً فإن العذاب الشديد في الدنيا يهلك فيموت المعذب ويستريح منه فلا يمتد"⁽²⁴⁾.

وأما لفظ "العل" الذي يفيد الترجي فكأن هذه المصائب رجاء تنبيههم وتوبتهم، قال ابن عاشور: "وجملة لعلمهم يرجعون استئناف بياني لحكمة إذافتهم العذاب الأدنى في الدنيا بأنه لرجاء رجوعهم، أي رجوعهم عن الكفر بالإيمان"⁽²⁵⁾، وأحياناً القلوب منهم هم الذين يتعظون بما يسمعون، وينتفعون بما يُنصحون، ويرجعون إلى الله تعالى بالإنابة والتوبة.

8- الوباء يُشعر الانسان بعظيم نعمة الصحة والعافية

(القشيري، لطائف التفسير، ج2، ص 514، 22.

(ابن القيم، زاد المعاد، ج 3، ص 477، 23.

(الرازي، مفاتيح الغيب، ج 25، ص 149، 24.

(ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص 223، 25.

الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يشعر بها إلا من فقدوها، ولا يعرف عظيم قدرها إلا من ذاق ألم المرض والسقم، فَيُقْبَلُ عَلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُ بِصَدْقٍ أَنْ يَرْفَعَ سَقْمَهُ؛ لِذَلِكَ كَانَ طَلِبُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ الْبَلَاءَ بَعْدَ أَنْ ذَاقَ مَرَارَةَ الْمَرَضِ سِنِينَ طَوِيلَةً، فَقَالَ: "أَيُّ مَسْبِيِّ الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" [ص: 83].

8- تقوية صلة الرحم وزيادة الألفة وتمتين أوامر المجتمع

أن الإنسان عندما يُبتلى بالمرض يحنو عليه أهله وأحبابه الذين أَلْهَتُهُمْ أمور الحياة، وأبعدتهم مشاغل الدنيا عن أهلبيهم وأصدقائهم، لأن المريض في حالة ضعف وهو في أمس الحاجة إليهم كي يرفعوا معنوياته، ويشحنوا نفسيته؛ ويُساندوه في محنته؛ اقتداءً بصفات المؤمنين التي مدحها الله في كتابه فقال سبحانه: "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْجَسَابِ" [الرعد: 21]، فيحسنون إلى المريض امتثالاً لقول الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ" [النحل: 128].

فيتماثل المريض في الشفاء العاجل، ويكون المرض سبباً في صلة الرحم، وزيادة الألفة والمحبة بين الناس والأصحاب، وتقوية لأواصر المجتمع. ولا يخفى ما لعائد المريض من الأجر الكبير والثواب العظيم الذي يجنيه بزيارته فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ عَادَ مَرِيضًا، نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طُيِّبَتْ، وَطَابَ مَمْسَاكَ، وَتَبَوَّأَتْ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا" (26).

كما أن الإنسان المبتلى يشعر بإخوانه المسلمين ممن هم أشد منه بلاء، أو طال عليهم زمنه، فبعضهم لا يجد قوت عياله، وبعضهم لا يجد ثمن دواءه، وبعضهم ميؤوس من شفائه، فيحمد الله على ما هو فيه، ويُعين إخوانه ويُخفف عنهم بكل ما يستطيعه، لعل الله يخفف عنه، فمن سعى في حاجة أخيه المسلم سعى الله في حاجته، قال الله تعالى: "وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [الحج: 77].

9 - البلاء والوباء فيهما إعداد للمؤمنين للتمكين في الأرض والاستخلاف فيها

سئل الإمام الشافعي رحمه الله: "أيهما أفضل: الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فقال: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مكن، ألا ترى أن الله امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنته، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنته، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنته، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنته وآتاه ملكاً، والتمكين أفضل الدرجات، قال الله عز وجل: "وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ" [يوسف: 21]، وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مُكِّنَ، قال الله تعالى: "وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ" [الأنبياء: 84]" (27).

إذن فهي سنة الله التي قد خلقت في عبادته أنه عاقبة الصبر التمكين والرفعة والمنزلة العظيمة، ولنا في الأنبياء صلوات الله عليهم القدوة الحسنة.

10- معية الله تعالى

إن معية الله تعالى هي أن يكون الله عز وجل معك في كل أحوالك وأمورك، قال تعالى: "وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" [الأنفال: 46].

ومن كان الله معه فهو متصل بمصدر القوة، ومنبع القدرة، قوة الله القادر القوي الغالب القاهر فوق عبادته الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن كان مع الله فلا يخاف من أحد ولا يهاب شيئاً، ولا ينتابه إحساس بوحشة لأن الله معه يثبتته ويؤنسه ويقويه، ويبعث فيه الشعور بالاطمئنان والرضا والسكينة؛ فيمضي في حياته مطمئناً صلماً واثقاً بمعية الله ونصرته.

كما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام لصاحبه في طريق الهجرة أبي بكر رضي الله عنه عندما كانا في الغار ولحقتهم قريش، فقال والسكينة والاطمئنان يُهيمنان على عرش قلبه: "أَلَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" [التوبة: 40]؛ فجاءه الفرج من الله على الفور وحفتهم رحمة الله تعالى مباشرة "فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا"، فلا حزن مع الله أبداً.

11- إرادة الخير للعبد

لاشك أن تقدير الله كله خير للعبد، سواء أعلم وجه الخير والحكمة فيه أم لم يعلم، قال تعالى: "وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا" [النساء: 27]، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ" (28)، فالخير مُخْبَأً فِي كُلِّ تَفَاصِيلِ الْحَيَاةِ حَتَّى الْبَلَاءِ فِيهِ خَيْرٌ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ" (29).

والله تعالى يُرِيدُ لِلْإِنْسَانِ الْأَفْضَلَ وَالْأَحْسَنَ، فَإِذَا تَحَقَّقَ الْعَبْدُ بِمُشَاهَدَةِ يَدِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَتَدْبِيرٍ؛ عَلِمَ أَنَّ تَدْبِيرَ اللَّهِ لَهُ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ تَدْبِيرِهِ، وَأَنَّ تَقْدِيرَ اللَّهِ لَهُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ تَقْدِيرِهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَأْجُرُ عَلَى الْقَلِيلِ بِالكَثِيرِ، وَيُضَاعَفُ الْحَسَنَاتِ وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ وَيُهَيِّئُ أَسْبَابَهَا لِلْعَبْدِ سِوَاءِ فِي السَّرَّاءِ أَوْ الضَّرَّاءِ لِئِنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ، قَالَ تَعَالَى: "وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" [البقرة: 216].

(رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عاد مريضاً، ج1، ص464، الحديث: (1443). 26)

(الشافعي، محمد بن إدريس المصطفي، تفسير الإمام الشافعي، تحقيق: د. أحمد القران، دار التدمرية، ط1، 1427هـ - 2006م، ج3، ص1076) 27)

(رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفاق، باب المؤمن أمره كله خير، ج4، ص2295، الحديث: (2999). 28)

(رواه البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة للنشر، ط1، 1422هـ، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ج7، ص115، الحديث: (5645). 29)

من رحمة الله تعالى بعباده أن يُعجل لهم العقاب؛ ليُكفر عنهم سيئاتهم في الدنيا فلا يُحاسِبهم بها في الآخرة.

قال الغزالي: "ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخرى تهون المصيبة فيخف وقعها، وأما مصيبة الآخرة فتندوم، وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي، ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب مرة ثانية، فالله أكرم من أن يعاقب العبد مرتين، قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الترمذي وابن ماجه: إن العبد إذا أذنب ذنباً، فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا، فالله أكرم من أن يعذبه ثانية"⁽³⁰⁾.

وقد جعل الله تعالى كل أنواع البليات كفارة للذنوب وطريق للأجر والثواب قال تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" [التوبة: 120]، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ حَطَايَاهُ"⁽³¹⁾.

كما ساق الله تعالى الأمراض رحمة لتكفير الذنوب، وموعظة للإنسان ليتنبه إلى خطئه ويبادر بالتوبة والعزم على عدم العودة، والإنابة الخالصة لله سبحانه، الأمر الذي يجعل قلب العبد يتعلّق بالله وحده، خصوصاً إذا ينس المريض من الشفاء من جهة البشر الذين هم أسباب للشفاء، وأما الشافي الحقيقي فهو الله رب البشر، فيقبل على الله عز وجل ويتضرع إليه، ويناجي ربه، وقد يتفرغ بسبب المرض إلى العبادة، ويزهد في الدنيا، ويصبح أكثر تدبّراً للقرآن، وخشوعاً في الصلاة، وحرصاً على كل ما يرضي الله تعالى؛ فيحفظ إحسان الله ورحمته، فما خلقه ربه ليعذبه بل ليهذبه ويرحمه، قال تعالى: "مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا" [النساء: 147].

فالأسقام رحمة ولطف خفي من الله تعالى، ولو تخيل الإنسان أن كل فكر يهيمه وحتى الشوكة التي تشكّه تُكفر عنه سيئاته، وتجلو بها صحيفته، أحس بعظيم نعمة الله عليه وأنه أفضل بكثير من الأصحاء، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ حَطِيئَةٌ"⁽³²⁾؛ فيلقى الله يوم القيامة وصفحته بيضاء نقية جلنتها الأسقام، ونقته البليات، ورفعت درجته تلك المحن التي أرهقت في الدنيا، فيأنس بالجنة ونعيمها.

ولكن بعض الذنوب لا يُكفرها المرض مثل الاعتداء على حقوق الناس، فالله تعالى يقتص من المعتدي في الدنيا أو الآخرة، وكذلك الكبائر لا تُكفرها الأسقام، والله تعالى يُعذب من يفعلها إلا إذا تاب توبة نصوحاً.

13- رفعة للدرجات

وقد تقع النوائب لرفع منزلة المؤمن ومكانته عند الله فتكون رفعة لدرجاته في الدنيا والآخرة، كيواف عليه السلام الذي ابتلاه الله بإخوته الذين رموه في الجُب ومحنة امرأة العزيز التي سجن بسببها ثم رفع الله قدره بعد ذلك فأصبح عزيز مصر قال تعالى: "تَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" [يوسف: 76].

كما جاء في الحديث: "عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ فَقَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ، فَيُنْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ رَقِيقَ الدِّينِ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ صُلْبَ الدِّينِ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ، قَالَ: فَمَا تَرَأَى الْبَلَاءُ بِالرَّجُلِ حَتَّى يَمُوتَ فِي الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ حَطِيئَةٌ"⁽³³⁾.

وقد يكتب الله للعبد مكانة عالية ومنزلة رفيعة بالجنة لا ينالها بعمله الصالح بل ينالها بصبره على الابتلاء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ يَنْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ ذَلِكَ"⁽³⁴⁾.

ثالثاً: واجب المؤمن تجاه البلاء

1- الإيمان والتسليم والرضا بقضاء الله واللجوء إليه

يُصبح العبد وقد ازدحمت عليه نعم الله سبحانه، فيُعيمه الشيطان عن رؤيتها، ويُبصره ببلاء واحد فيندمر ولا يدري المسكين أنه غارق في نعم الله وعافيته، لأن كل ما يصيب الإنسان من خير وشر هو بقدر الله، وهو مُقدَّر في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله السماوات والأرض وما عليهما بخمسين ألف سنة، قال تعالى: "مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" [الحديد: 22]، قال الرازي: "هذه الآية دالة على أن جميع الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح المحفوظ، ومثبتة في علم الله تعالى"⁽³⁵⁾.

³⁰ (الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج4، ص 129.

³¹ (رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ج7، ص 114، الحديث: (5641).

³² (رواه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ج4، ص 180، الحديث: (2399).

³³ (رواه أحمد في مسنده، ج3، ص 87، الحديث: (1494). ورواه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ج4، ص 179، الحديث: (2398).

³⁴ (الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م، كتاب الجنائز، ج1، ص 490، الحديث: (1258). ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988 م، باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض، ذكر البيان بأن العبد قد يكون له عند الله المنازل في الجنان فلا يبلغها إلا بالمحن والبليات في الدنيا، ج7، ص 169، الحديث: (2908).

³⁵ (الرازي، مفاتيح الغيب، ج 29، ص 467.

قال الماتريدي في شرح هذه الآية: "شهد الله عزَّ وَجَلَّ بالاهتداء لمن فوض أمره إلى الله تعالى، ويسلم لقضائه وتقديره السابق وهو كائن لا محالة؛ فبين أن ذلك مكتوب عليهم لتطبيب الأنفس وتطمئن القلوب عليه"(36).

والرضا من أساس الدين، وحتى تكون مسلماً صادقاً، لا بد أن ترضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، هكذا دوى بها مؤمن بني إسرائيل عندما توعد فرعون بالعقاب فقال: "وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" [غافر: 44]، يعني "أرد أمري وشأني {إلى الله} سبحانه وتعالى، وأسلمه إليه وأتوكل عليه ليعصمني من كل سوء، قاله؛ لما أنهم كانوا توعدوه بالقتل، وكمال التفويض أن لا يرى لنفسه ولا للخلق جميعاً قدرةً على النفع والضرر"(37)؛ فجاءه الفرج "فَوَفَاةَ اللَّهِ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَخَاقٍ بَالٍ فِرْعَوْنَ سَوْءَ الْعَذَابِ" [غافر: 45].

وكيف لا تطيب النفس وتقر العين وقد علمت أن ما أصابها لم يكن ليخطئها وما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن تقدير الله تعالى كلُّه خير، وهذه وصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال: "فَتَعَلَّمَنَّ أَنْ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنْ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ"(38).

لذا يجب على المسلم عند أصابته بنوع من أنواع البلايا أو الأوبئة الإيمان والتسليم بقضاء الله وقدره، فكل ما يفوت الإنسان من المصالح والمكاسب، وكل ما يصيبه من الهم والوجع والشدائد قد قدره الله له قبل خلقه، وأمره بالصبر والرضا وأن تطيب نفسه بقضاء الله، فلا وجود لـ "لو" في حياته ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"(39)، فالرضا يُبعد عن الإنسان الأمراض النفسية، لأن الضجر والسخط والتذمر من البلاء والوباء يجعل القلب مليء بالغم والهم والحزن، أما الرضا ففيه طمأنينة القلب، وراحة النفس، والسعادة بما قسم له.

2- الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه

يلجأ العبد إلى الله بالتوسل، ويُخَلِّعُ على ربه بالدعاء، ويزيد في مناجاته، ويتأسى بأنبياء الله تعالى الذين كانوا لا يفترون عن الدعاء أبداً، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" [النحل: 120].

وقدوتنا في ذلك أنبياء الله تعالى الذين لجأوا إلى الدعاء عندما أصيبوا بأنواع البلايا، فقال سبحانه وتعالى على لسان يونس عليه السلام: "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" [الأنبياء: 87]، وقال على لسان أيوب: "رَبِّ أَتِي مَسْنِي الضَّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" [الأنبياء: 83]، ودعا يعقوب عليه السلام فقال: "إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ" [يوسف: 86].

وقد علمنا رسولنا الكريم أدعية خاصة بالكرب فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"(40)، كما "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرِهَ أَمْرًا قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ"(41)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتِكَ أَرْجُو، فَلَا تَكْلِفْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ"(42)، وغيرها من الدعوات كثير، وعلى المسلم أن يتخير أوقات إجابة الدعاء فيدعو الله صادقاً موقناً بالإجابة وبأنه القادر على كشف الضر ورفع البلاء عنه.

3- التوبة والإكثار من الاستغفار

إن الاستغفار مفتاح كل كرب، وبلسم كل جرح، وهو من إرشاد نوح عليه السلام لقومه: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا" [نوح: 10، 11، 12]، قال القشيري: "ليعلم العالمون: أن الاستغفار قرع أبواب النعمة، فمن وقعت له إلى الله حاجة فلن يصل إلى مراده إلا بتقديم الاستغفار، ويقال: من أراد التفضل فعليه بالعدر والتفضل"(43)، فبالاستغفار تُستجلب النعم، وتعم الخيرات، وتنزل الرحمات، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَرَجٍ جَرًّا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"(44).

4- الحمد والشكر

فينظر الإنسان أن ما أبقى الله له أكثر بكثير مما أخذ منه، وما أدخر الله له من أجر على صبره ورضاه أعظم وأكرم، وقد أرشد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم إلى علاج الهم والحزن بالتسبيح والحمد وكثرة السجود والعبادة الحقة لله وحده فقال تعالى: "وَلَقَدْ

(الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ - 2005م، ج1، ص 36601)

(محمد الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، مراجعة: هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 1421 هـ - 2001 م، ج25، ص 210)

(روه ابن داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، كتاب السنة، باب في القدر، ج4، ص 225، الحديث: (4699). وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي، أبواب السنة، باب في القدر، ج1، ص 29، الحديث: (77).)

(أخرجه مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ج4، ص 2052، الحديث: (2664).)

(روه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، ج8، ص 75، الحديث: (6346) واللفظ له. ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، ج4، ص 2092، الحديث: (2730).)

(روه الترمذي في سننه، باب الدعوات، ج5، ص 425، الحديث: (3524).)

(روه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، ج4، ص 324، الحديث: (5090). وأحمد بن حنبل في مسنده، ج34، ص 75،)

(القشيري، لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن، تحقيق: إبراهيم السيويني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، ج3، ص 636.)

(روه النسائي، أحمد بن شعيب الخراساني، السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001 م، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ثواب الإكثار من الاستغفار، ج9، ص 171، الحديث: (10217). وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، ج2، ص 1254، الحديث: (3819).)

تَعْلَمُ أَنَّكَ بَصِيْقُ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَيَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" [الحجر: 97، 98، 99]، كما قرن الصبر بالشكر في قوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" [لقمان: 31]، وقد جعل الله تعالى الشكر منجاة من المهالك كما نجى سيدنا لوطاً من العذاب الذي لحق قومه بسبب شكره لله تعالى قال سبحانه: "إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ" [القمر: 34، 35].

وهذا دأب الصالحين وسلف الأمة ينظرون للمحنة على أنه منحة فيحمدون الله عليها، كان شريح يقول: "إِنِّي لِأَصَابُ بِالْمُصِيبَةِ، فَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، أَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ وَقَفَنِي لِلاِسْتِزْجَاعِ لِمَا أَرْجُو مِنَ التَّوَابِ، وَأَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي" (45)؛ لأن مصيبة الدين هي أعظم مصيبة، وكل مصيبة دونها يسيرة.

5- مواساة النفس وتهوين الأمر عند النظر لمصائب الآخرين

عندما يُطلق الإنسان نظره في العالم من حوله فسيري كثيراً من مصائب حوله ما هي أشد وأصعب، فما البيوت إلا أستار لما في جوفها من المحن والنعم، فهذه هي الدنيا من اسمها دنيّة، متى ما أضحكك يوماً أبكت غداً، "وَقَدْ رُوي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لِكُلِّ فَرْحَةٍ تَرْحَهُ، وَمَا مِلَى بَيْتٍ فَرَحًا إِلَّا مِلَى تَرْحًا، وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ رَجَمَهُ اللَّهُ: مَا كَانَ صِحْكَ قَطُّ إِلَّا كَانَ بَعْدَهُ بُكَاءٌ" (46)؛ فتنتطفئ نار مصيبته.

6- لا يجزع ولا يقنط من رحمة الله وفرجه وشفائه من الأمراض

إن الجزع يُغضب الله، ويسرُّ العدو، ويحزن الصديق، ويحبط الأجر، قال تعالى: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" [الزمر: 53]، بل يتصف بالثبات الأكمل.

7- البُعد عن الحسد والحقد

أن النظرة الصائبة لمفهوم المرض تُبعد عن الإنسان الحسد والغل والحقد على من حوله من الأصحاء؛ ليقينه بأن الله يرفعه درجات بمرضه ورضاه به، وهذا يُبعد عن المرء أمراض القلب، ويحسن من نفسيته، ويرفع همته في تحمل المرض، ويستشعر قرب الشفاء مُتمثلاً بقوله تعالى: "وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ" [الشعراء: 80].

وقد نهانا ربنا في كتابه العزيز عن الحسد فقال: "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا" [النساء: 54]، فالله هو المتفضل على عباده، موزع الأرزاق، ولا يجوز الاعتراض على الرزاق، قال تعالى: "وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِّلرِّجَالِ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا" [النساء: 32]، قال القرطبي: "والحسد مذموم وصاحبه مغموم وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب" (47).

8- أن يستشعر قناطر الأجر المخبأة له من هذا البلاء، وعظيم الأجر الذي يعقبه، قال تعالى: "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" [السجدة: 17]، وقد روى الترمذي مرفوعاً: "يَوَدُّ نَاسٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ جُلُودَهُمْ كَانَتْ تُفْرَضُ بِالْمَقَارِيطِ فِي الدُّنْيَا، لِمَا يَرَوْنَ مِنْ تَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ" (48).

الخاتمة

في ختام البحث أعرض أبرز النتائج التي توصلت إليها:

- 1- إنَّ للبلاء والوباء جُرم عظيمه يجهلها كثير من الناس.
- 2- من أهم حكم البلاء تحقيق العبودية الحقة، والامتثال والانقياد لله سبحانه.
- 3- البلاء والوباء يُعلمان الصبر والجلد، ويخرج منهما الإنسان الصابر أقوى وأوعى.
- 4- بالبلاءات تتميز معادن الناس وينجلي الصدا عن الحديد؛ فيظهر المؤمن الحق.
- 5- يشعر الإنسان مهما كبر سلطانه وجاهه وأمواله بعجزه أمام قدرة الله وضعفه أمام تدبيره وقضائه، فيحنني أمام خالقه ولا يتكبر.
- 6- على الإنسان الإيمان الكامل بأن كل تقدير الله خير، وأنه سبحانه بحكمته يختار له الأفضل.
- 7- إن في البلاء آثار إيجابية على المجتمع، فيزيد في روابط المحبة والألفة بينهم، ويرفع إحساس الأخوة الإسلامية؛ فيصبح المجتمع أكثر ترابطاً وقوةً.
- 8- على المؤمن المُبتلى الرضا والتسليم لقضاء الله وقدره، كثرة التضرع والاستغفار، وحمد الله تعالى، ولزوم الأدعية المأثورة الخاصة بتفريج الكرب، وعدم القنوط من رحمة الله تعالى.

(الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص 105، 45.

(شمس الدين المقدسي، محمد بن مفلح بن محمد، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، بيروت، ج2، ص 188، 46.

(القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 5، ص 251، 47.

(المصدر السابق، ج2، ص 189، 48.

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.
- ابن داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1422هـ - 2001م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط27، 1415هـ - 1994م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المفيد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد بن سلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1420هـ - 1999م.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1375هـ - 1955م.
- الأنصاري، أبو يحيى زكريا بن محمد، الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة، تحقيق: هشام بن محمد حيجر الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، دلائل النبوة، تحقيق: د. عبد المعطي قلجعي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1، 1408هـ - 1988م.
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ - 2002م.
- الجاحظ، أبي عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق وبيروت، ط1، 1412هـ.
- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ - 2000م.

- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، *الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م.
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، *محاسن التأويل*، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418 هـ.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، *لطائف الإشارات*، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، بدون تاريخ نشر.
- قلعجي وقنبيي، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبيي، *معجم لغة الفقهاء*، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1408 هـ - 1988 م.
- القيسي، مكي بن أبي طالب القيسي، *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008 م.
- الكفوري، أيوب بن موسى الحسيني القريني أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 250
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، *تأويلات أهل السنة*، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426 هـ - 2005 م، ج7، ص 530.
- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري، *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، *السنن الكبرى للنسائي*، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001 م.
- الهروي، القاسم بن سلام بن عبد الله، *غريب الحديث*، تحقيق: د. محمد خان، حيدر آباد، ط1، 1384 هـ - 1964 م.